

أبي والمنفى

أنت يا ذا الشاعر الذي يلفه الضباب
والفسق الكئيب والخراب
ليس غير النار في لهيبها
تقتحم الاهوال والسدود ؟
ولم تزل ، ولم يزل يصرخ في أعماقك السؤال
ولا يرد الصمت في أعماقك الجواب
لكنهم لم يدركوا ... هل تدرك الرياح ؟
ما تنثر الزهرة من بذورها للعقم ، للضياع
يا أيها الليل ... غدا ينسدل الستار
ولم تزل للتيه ... للرياح
وللطلول ينعب الغراب
في ساحها ، فوق جدارها العتيق
يا ألف باب في شحوب الصمت
في زناتني يصطفق
ولا قدوم زائر .. سوى صدى الرياح
وزهرة ياسسة ... وغير سهد الهاجسات
وغير أصداء تشق وحدتي ..
تقول لي « أبوك مات »
وراية سوداء ، والغيوم ، والدموع
تقول لي .. « أبوك مات »
كان له قلب من الصمت الذي لا يبوح
بجرحه لا يعرف الاينين
كانت له عينان كالبحر ، كأعماقه
في لجة الاشواق .. والحنين
كانت له يدان مكدودتان
كان يرى ، يدري بأني لها
نذرت أيامي .. ولكني كسير الجناح
وقبل أن تلمح عيناه شرع الصباح
مات أبي .. مات قبيل الصباح ...
يا ألف باب في شحوب الصمت ..
في زناتني تصطفق
ولا قدوم زائر سوى صده ..
عيناه لا تحلمان يده لا تومئان ..
ولا صدى ... سوى صدى الرياح
تقول لي .. مات ولم تطبع على جبينه قبلة
يا أيها الشريد .. والغيوم والدموع
وأفق هذا الليل رايات من الشموع
وألف باب في اللجى تصطفق
ولا قدوم زائر .. سوى صدح الرياح
سوى صدح الرياح ...

كاظم السماوي

برلين

ولا من العدل ولا من الحكمة ان نسارع الى شجبها او نحكم اعتبارا عليها . فقد تكون في نتائجها افطع التجربات وقد تكون اكثرها خيرا ونعمة . علينا ان نصبر . والصبر في مثل هذه الانقلابات الاجتماعية لا يحسب صبورا اذا قيس بحقبة لا تتجاوز العشرين او الثلاثين سنة . على ان هناك ما يدعو للتفاؤل والاطمئنان وخصوصا في ما يتعلق بشؤون الاسرة وتطورها . فاذا قرأنا تشريع السوفيات في الزواج والطلاق وفي الامومة ورعاية الاطفال تبيننا ان اولئك المشرعين ليسوا من الشياطين او من الجن بل هم مثلك ايها القارئ ومثلي انس عقلاء بصراء ذوو مثل اعلى ، محبون للجنس البشري غيورون على خيره ومثابرون على العمل الذي يستمر فيه ناموس النشوء والارتقاء . اجل انهم ينشدون المثل الاعلى لخير الانسان في هذه الدنيا ويعملون لتحقيق الاعمال الجبارة مهما يكن من خلل فيها او شذوذ « (١٦) » .

والواقع ان هذا الموقف من الاتحاد السوفياتي في تلك الحقبة يدل على ثورية الريحاني وبعد نظره فسي التحليل السياسي ، لا سيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان جزءا كبيرا من فئة المثقفين العرب لم يفهم ما يدور في الاتحاد السوفياتي او وقف موقفا ارتدى طابعا معاديا استنادا الى ما بثته الدعاية الغربية من سموم في عقول الناس حتى لا يعرفوا الحقيقة الموضوعية عما يحققه السوفيات من انجازات وانتصارات في شتى الميادين والمجالات وحتى لا يصبحوا من انصار الاشتراكية العلمية ويناضلوا في سبيل تغيير المجتمع العربي تغييرا ثوريا بهدف القضاء على جميع اصناف الاضطهاد والاستغلال . بيد ان الحقيقة لم تطمس الى ابد الدهر ، فرعان ما انقشع الضباب وذابت الثلوج واضحت التجربة السوفياتية معروفة لدى اوساط واسعة جدا من فئات وطبقات مجتمعا العربي . ولا شك ان الريحاني لو قام بزيارة للاتحاد السوفياتي ودرس التجربة الجديدة لادرك على الطبيعة ما استطاع ادراكه بصيرته النفاذة من خلال الكتب والمقالات التي كتبت عن الاتحاد السوفياتي ولعرف الكثير من الامور الخافية في ذلك الحين . لقد كانت احدي امانيه ان يقوم بزيارة لهذه البلاد انطلاقا من اهتمامه بالتجربة الاشتراكية وحرصا على معرفة الحقيقة . وقد عبر عن امنيته في رسالة حررها الى المستعرب العالم السوفياتي الشهير كراتشكوفسكي عام ١٩٢٨ : « وان من امني ان ازور بلادكم لادرس احوالكم الجديدة الاجتماعية والسياسية . فعسى ان تتحقق الامنية كما تحققت تلك في رحلتي العربية » (١٧) . ولكن هذه الامنية لم تتحقق ، فقد وافته المنية قبل ان يزور اول بلد اشتراكي في العالم .

احمد ماضي

موسكو

(١٦) الريحانيات في جزئين - الجزء الثاني - ص ٢٠٦

(١٧) رسائل امين الريحاني ١٨٩٦ - ١٩٤٠ ، ص ٣٢٨